عن «المهرولون» و «متى يعلنون وفاة العرب» وديمقراطية الكلمة وأشياء أخرى:

نزار قباني

لا أخاف على قصيدتى .. من القصيدة الإسرائيلية!

- إليكم أقدم إفادتى عن عشقى المصرى.. وعليها توقيعى!!
- الشعر وحده هو مولاى وسيدى!
- منذ «هوامش على دفتر النكسة» عام ١٩٦٧ تخليت فى شعرى عن عقلية الفتوات!
- إسرائيل ليست بُعبُعًا ثقافيا يخيفنا!
- أجلد بلادى بقصائدى حتى تقف على قدميها!
- منذ هزيمة ١٩٦٧ استقلت من حزب عنترة بن شداد!
- العالم العربى - اليوم - شوربة يختلط فيها اليمينى باليسارى، بالماركسى بالرأسمالى، بالعلمانى بالأصولى، بالقطرى بالوحدوى بالانفصالى، بالقبلى بالطائفى!!

- فی الخمسینیات کنا نکتب لشارع عربی ملتحم وموحد النسیج.. أما فی التسعینیات فنحن نکتب علی الماء.. والهواء!
- لا یمکننی تجمیل الوطن إذا لم یکن جمیلا!
- الشاعر (فرخة) یذبحونها ویقدمونها فی الحفلات الرسمیة.. فهل تستطیع فرخة مذبوحة أن تقدم البدیل؟!
- ألوف الخناجر التی زرعها النقاد والرجعیون والمتزمتون فی جسدی خلال خمسین عاما کانت بسبب واقعیتی فی شعر الحب أو شعر السیاسة!
- فی زمن تنکیس الرایات.. واستقالة السیوف، وموت الصهیل.. فإن کل قصائد الفخر التی نقولها لا تساوی ملیما واحدا!
- لا أجد نفسی مضطرا للاعتذار لأحد عن قصیدتی (متی یعلنون وفاة العرب)!
- أنا عصفور یغنی لهذه الأمة.. ولست مجلس السوفییت الأعلی.. أو مجلس الکونجرس.. أو مجلس قیادة الثورة!!
- سقطت قصیدتی (متی یعلنون وفاة العرب) بین أیدی القبائل فاغتصبوها کل علی طریقته!
- الضریبة التی دفعها المثقفون تحت وطأة إرهاب التطرف.. هی ضریبة قدیمة یدفعها کل من یفکرون بالتغییر.. أو بالتنویر.. أو بخض عقول حجریة!

كان شرطنا المتبادل قبل بدء هذا الحوار هو أن يكون صريحا بلا حدود، وتصادميا إلى آخر مدى، وحقيقيا لا يأتيه الزور من بين يديه ولا من خلفه!

(اتفقنا) على أن يكون (اختلافنا) بلا سقوف تفرضها علنية الحوار الصحفى، وعموميته.

و (اتفقنا) على أن (اختلاف) وجهات نظرنا أو آرائنا، لا ينبغى أن يتقيد بأية شكليات شخصية أو برتوكولية، سواء فى شكل الأسئلة المرسلة، أو فى حرفية الإجابات الموجهة.

وهكذا ـ بالضبط ـ كان حوار «الأهرام» مع الشاعر الكبير نزار قبانى الذى يخوض الآن واحدة من أسخن معاركه، ويشتبك على ساحات متعددة فى آن واحد، فمن قصيدة (المهرولون) لقصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟)، لبعض نبش وفتح فى الملفات القديمة من (هوامش على دفتر النكسة) إلى (علاقة الكلمة والسلطان).. ثم إلى مناقشات شعرية وأدبية صرفة تمتد من الموقف من قضية الحداثة حتى الموقف من النقاد وحركتهم النقدية.

وأخيرا يصل الحوار إلى نقطة أعطى فيها الشاعر ما أسماه إفادته عن عشقه المصرى وعليها توقيعه.

وهنا نص الحوار:

- **«المهرولون» [قصيدتك ـ المعركة] الأخيرة، فتحت بابا جديدا للصدام والاصطدام معك. هل تظنك كنت فيها مع حتمية التاريخ تقف إلى جوار المستقبل، وإلى جوار عواطف وأفكار**

الجيل الطالع، أم كنت مع تاريخك أنت، تقف إلى جوار الماضى الذى كان.. وإلى جوار تجربتك الشخصية سياسية كانت أم شعورية؟

○ أنا شاعر لا يبرمج قصائده ومشاعره، ولا يسعى لاسترضاء أحد سوى الشعر.

الشعر وحده هو مولاى وسيدى، وهو الذى يأمرنى فأمتثل، ويستكتبنى فأكتب. . ويقول للقصيدة كونى فتكون. .

أنا لا أنبش فى رماد الماضى قط. . ولا أقف على الأطلال، ولا ألتفت - إطلاقا - إلى قصيدة كتبتها قبل يومين.

إن عينى دائما على الأفق، وعلى شواطئ لا أعرفها، ومدائن لا أعرفها. . وعلاقات لغوية وإبداعية لا أعرفها.

إننى أبحث دائما عما يدهشنى، قبل أن يدهش الآخرين.

لذلك تنفجر الأعاصير من حولى بين فترة وأخرى دون أى تخطيط سابق، وكما قلت دائما: لست أنا الذى أكتب القصيدة، بل هى التى تكتبنى.

القصيدة تنفجر بين يدىَّ، وتبتر أصابعى. . ولكننى لا أستدعى سيارة الإسعاف، وإنما أتلذذ برؤية دمى السائل.

● **يمعن البعض - بمناسبة الهرولة - فى الحديث عن تحديات وأهوال صراع ثقافى وحضارى قادم بين العرب وإسرائيل، هل ترى لإسرائيل ذلك الوزن والثقل الثقافيين من خلال آراء مثقفيها أو إبداعات فنانيها، والذى يجعل العرب ترتعد فرائصهم أمامها خوفا من أن تبتلعهم ثقافيا أو تكتسحهم فنيا؟**

○ إسرائيل ليست بُعبُعا ثقافيا يخيف أحدا سوى ضعفاء النفس وضعفاء

الإرادة. قد تتفوق إسرائيل علينا عسكريا وتكنولوچيا وتنظيميا، ولكنها من حيث الإبداع تأتى فى الدرجة العاشرة. فشعراؤنا أهم من شعرائها، وروائيونا أعظم من روائييها، وفنانونا التشكيليون ومسرحيونا وممثلونا ومغنونا متفوقون على الإسرائيليين بشكل حاسم. ولقد تعايش اليهود معنا فى المنطقة منذ عصر النهضة حتى اليوم، فلم يخرج من بينهم شعراء بمستوى شوقى ومطران والبارودى، أو كتّاب كالعقاد، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، ونجيب محفوظ، أو مفكرون كمحمد عبده، ورفاعة الطهطاوى، وعلى عبد الرازق، أو موسيقيون ومغنون كسلامة حجازى، ومنيرة المهدية، وسيد درويش، وأم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، أو ممثلون ومسرحيون على مستوى فاطمة رشدى، ونجيب الريحانى، ويوسف وهبى، وأمينة رزق.

إذن لا خوف علينا من أية هجمة إسرائيلية تلغينا وتمحو ثقافتنا، فنحن متجذرون فى هذه الأرض شعرا، ونثرا، ورسما، ونحتا، وعمارة، وإبداعا.. منذ خمسة عشر قرنا. وإذا تحدثنا عن الحضارة الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، والكنعانية، والبابلية، والسومرية، والآرامية، والكلدانية.. فيمكننا أن نقول: إننا أولاد حضارة عمرها خمسة آلاف سنة.

شعريا لا أشعر بأى عقدة من أى شاعر إسرائيلى. فالشعر من مواليد الجزيرة العربية، وسوف يبقى كذلك...

قد يكون لدى إسرائيل قنابل نووية تهددنا بها.. ولكن ليس لديها قصيدة جيدة واحدة تهدد بها الشعر العربى!!

النفخ فى قربة مثقوبة!

- **كان رد الأستاذ نجيب محفوظ حول (المهرولون) يحمل معانى ودلالات مهمة، وكان ردك على الرد يحمل أيضا منطقا خاصا ومتماسكا. هل يمكن اختزال الموقف فى هذه القضية التى تطرح**

نفسها بقوة على الساحة العربية السياسية والثقافية فى الرسائل (اللطيفة) بينك وبين الأستاذ نجيب محفوظ، أم أن هناك تيارات واسعة تتبنى مواقف مختلفة حول هذه القضية؟

ارسم ـ من فضلك ـ ملامح خارطة عربية ثقافية تحدد فيها مواقع القوى وحركة التيارات حول هذه القضية؟

○ لا يمكن رسم أية خارطة سياسية أو ثقافية للعالم العربى الحالى.. فلقد تمزقت جميع الخرائط، وتداخلت كل الخطوط والألوان.

العالم العربى اليوم (شوربة) يختلط فيها اليمينى باليسارى، بالماركسى بالرأسمالى، بالعلمانى بالأصولى، بالقطرى بالوحدوى بالانفصالى، بالقبلى بالطائفى.. وأمام هذه اللوحة الموزائيكية المرعبة.. لا يمكن للكاتب أن يعرف مكان رأسه من مكان قدميه.

فى الخمسينيات كنا نكتب لشارع عربى ملتحم وموحَّد النسيج.. أما فى التسعينيات فنحن نكتب على الماء.. والهواء!

وأمام هذه (الشوربة) التى ليس لها لون ولا طعم ولا رائحة، وأمام هذا الشارع العربى الممنوع من النطق، والتجول، والغضب، والاحتجاج، وممارسة حقوقه فى الفرح أو البكاء.. أو الانتحار.. يصبح الأدب نوعا من النفخ فى قربة مثقوبة، وتصبح الكتابة مشيا على زجاج مكسور.

إننى أكتب قصيدتى هذه الأيام ولا أعرف أين ستقضى ليلتها.. فى السجن.. أو فى غرفة الإنعاش.. أو فى ملجأ الأيتام!!

● **إذا كنت تدين (المهرولون) فى اتجاه السلام أو التطبيع. ما هو البديل؟**

○ هذا ليس شغلى. فالشاعر لا يشتغل فى الوعظ والإرشاد، ولا يخطب فى الناس يوم الجمعة، إنه شغل من يجلسون على رقابنا منذ خمسين عاما، ويلعبون

بنا على كيفهم، ويرسمون مصائرنا على كيفهم، ويقطعون ألسنتنا على كيفهم، ويسلخون جلدنا على كيفهم.

الشاعر (فرخة) يذبحونها.. ويقدمونها فى الحفلات الرسمية.. فهل تستطيع فرخة مذبوحة أن تقدم البديل؟

أنت بسؤالك عن البديل.. تناقض ما جاء فى تعليقك الذى نشرته فى (الأهرام الدولى) بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥، وفيه تقول:

«نحن نحاكم الشاعر أو المثقف بمعايير محاكمة رجل الدولة، ونحتكم إلى مرجعيات سياسية سلطوية.. أو حزبية معارضة. فى حين ينبغى الاحتكام إلى مرجعيات شعبية ووجدانية.

المثقف المبدع، هو ضمير حى، يخترق المألوف والتقليدى والممكن فى كل لحظة. وهو غير ملزم أو ملتزم بالحسابات السياسية والموقفية»..

هذا هو كلامك يا دكتور، فكيف تطلب منى أن ألتزم الموقف والحسابات السياسية، وأقدم البديل؟!

المنفلوطى والتفاحة!

● سهل على الشاعر أن يتبنى أكثر الآراء لمعانا وحماسية.. ويقعد فى حديقة غنّاء، أو فى منزل وثير فى هذه العاصمة الأوروبية أو تلك.. يقضم قضمة من تفاحة حمراء، ويطلق قصائده اللذيذة عن الكفاح المستمر. ألا تعتقد أنه قد آن الأوان لك أن تترجل عن جواد الأحلام الذهبى وتنزل إلى الشارع، وآلام الناس وواقعهم؟

○ عن أى تفاح ـ وأى حديقة غنّاء.. وأى منزل وثير تتحدث أيها الرجل؟.. خيالاتك تذكرنى بخيالات مصطفى لطفى المنفلوطى.. وأسلوبك فى التهويل مثل أسلوبه.

وأنا أتحداك أن تجد فى كل شعرى تفاحة واحدة حمراء، أو صفراء.. أو

تجدنى أقشر اللوز والفستق للسابحات الفاتنات على شواطئ نيس وكان ومونت كارلو..

أما مطالبتك لى بأن أترجل عن صهوة جواد الأحلام، وأنزل إلى الشارع، وإلى آلام الناس وواقعهم.. فهى دليل على أنك لم تقرأ شعرى جيدا.. ولا تعرفنى.

هل ممكن لمثقف مثلك أن يطلب منى بعد خمسين عاما من الالتحام بأجساد وأحلام وأحزان ودموع وقضايا مئتى مليون عربى أن أكون واقعيا.. وأنزل إلى الشارع؟؟

إننى أرفض أن أدخل فى حوار معك عن واقعية نزار قبانى.. لأن ألوف الخناجر التى زرعها النقاد، والرجعيون، والمتزمتون فى جسدى خلال خمسين عاما، كانت بسبب هذه الواقعية وفوق الواقعية التى اعتمدتها فى شعر الحب.. أو فى شعر السياسة.

لست أنا من يُطلب منه أن ينزل إلى الشارع.. لأننى أسكن الشارع العربى منذ خمسين عاما.. فإذا كنت لا تعرف عنوانى.. فأنا آسف!!

أما منازلنا فى المدن الأوروبية فهى شقق متواضعة جدا، ولا تستحق هذا الحسد غير المبرر. إن منازل الكتّاب والمبدعين والمغنيين العرب فى العواصم الأوروبية، ليست سوى ملاجئ اضطرارية يجدون فيها الحد الأدنى من السلام والحرية.

ويؤسفنى أن أقول تعليقا على هذا السؤال:

(حتى على النفى لا أنجو من الحسد)!!

- **(المهرولون) أو (المحجمون) طائفتان تستند كل منهما إلى أسباب تبدو وطنية، بل وتبدو قومية. ألا ترى ـ كمثقف عربى كبير ـ أننا بحاجة إلى صياغة عقد ثقافى عربى جديد، يحدد مثل هذه المعانى**

الأولية بدقة، فى زمن أصبحت فيه النسبية ـ هى الأساس الذى يحكم كل المعانى والمواقف؟

○ أنا لا أعارض قيام مثل هذا العقد الثقافى العربى الجديد. شريطة أن يبقى فى حدود المحافظة على حقوقنا التاريخية وسيادتنا وشرفنا القومى، هذه بديهيات لا يمكن أن تدخل فى باب المساومة.

أما فكرة (النسبية) ومقولة (ليس بالإمكان أبدع مما كان) أو (عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة) فهى فلسفة طوباوية لا يعتنقها سوى المحبطين والضعفاء واليائسين.

● **تستوقفنى كثيرا هذه الروح السائدة فى قصائدك السياسية، والتى تركز على تعذيب الذات الوطنية والقومية وتحقيرها، وكسر أى عامل من عوامل الزهو الوطنى أيضا.. هل أجد عندك تفسيرا لهذا؟**

○ منذ قصيدتى (هوامش على دفتر النكسة) التى كتبتها عام ١٩٦٧، تخليت فى شعرى عن عقلية (الفتوات)، والفَشْوَره.. والمرجلة.. والعنتريات الفارغة.. والانتفاخ القومى والشوفينى.

أين هو الزهو الوطنى الذى تتحدث عنه؟ وكيف أكتب عن الشمس إذا كنت لا أراها.. وعن الوردة إذا كنت لا أشم رائحتها.. وعن الرقى إذا كنت أعيش عصور الانحطاط.

لا يمكننى تجميل وطن ما عاد جميلا.. فأنا لست طبيبا من أطباء التجميل أو منشدا فى الكورس الجماعى.

أنا شاهد على عصرى، ورسام انطباعى يرى الأشياء بحجمها الطبيعى وألوانها الطبيعية، ولا يضع اللون الوردى مكان اللون الأسود.

فى عصر الهزائم والسقوط والتشرذم والتفكك و (الهرولة) لا مكان لعنترة بن شداد.. وأبى زيد الهلالى.. وعقبة بن نافع.

هؤلاء الأبطال كانوا أبطالا فى وقتهم.

أما فى زمن تنكيس الرايات.. واستقالة السيوف.. وموت الصهيل.. فإن كل قصائد الفخر التى نقولها لا تساوى مليما واحدا.

البيت الملغوم!

● فإذا ما عقد العرب صلحهم مع إسرائيل، وإذا ما انخرط العرب ـ جميعا ـ فى مشاريع لتنمية المنطقة بالمشاركة مع إسرائيل، وإذا ما تغيرت لغة العرب فى الحديث عن أزلية الصراع وتاريخيته، فماذا أنت فاعل؟

○ قبل أن تسألنى ماذا سأفعل؟.. اسأل الإسرائيليين ماذا يريدون ـ بالضبط ـ من بلادى ومنى ومن مستقبل أولادى؟

إذا كان الإسرائيليون يريدون أن يعيشوا مع العرب وبينهم، كما كانوا يعيشون فى ظل الدولة الإسلامية فى يثرب، وغرناطة، وقرطبة، وطليطلة، والمغرب العربى، والقاهرة، وبغداد، ودمشق، أى مواطنين فى مجتمع ديمقراطى تتساوى فيه كل الديانات والعقائد.. ويتساوى فيه المواطنون فى حقوقهم المدنية وواجباتهم.. فأهلا وسهلا بهم.

أما إذا كانوا يريدون أن يحتفظوا بترسانتهم النووية كما هى.. وبمستعمراتهم كما هى.. وبفكرهم البوليسى كما هو.. فهذا يعنى أنهم لم يتخلوا عن أحلامهم التوسعية وفكرهم التوراتى.

أما مؤتمرات التنمية، والترويج لفكرة السوق الشرق أوسطية، والاهتمام بالتجارة والاقتصاد والاستثمارات.. قبل الاهتمام بالمسألة القومية وبمصير الأرض التى لا تزال مرتهنة لدى الإسرائيليين.. فيشبه وضع العربة قبل الحصان.

إننى أعتقد أن فكرة السلام العادل والشامل والدائم لم تنضج ـ بعد ـ فى

الفكر الإسرائيلى. وما لم يقتنع الإسرائيليون بأننا جيرانهم، وأبناء عمومتهم، وأننا من سلالات إبراهيم عليه السلام.. فإن الحياة معهم فى بيت ملغوم فى كل أركانه بالمتفجرات.. لن تكون حياة سعيدة أو ممكنة..

● (متى يعلنون وفاة العرب)، توقف البعض عندها بوصفها قصيدة هزمت الشعور القومى وحاولت إصابته فى مقتل.

هل حددت ـ قصدا ـ ملامح دورك فى أن تطلع على الناس كل عقد أو عقدين، لتضرب شموخهم وتحطم كبرياءهم الوطنية أو القومية؟

○ مرة أخرى، أنت تعود لتتكلم بلغة عنترة بن شداد..

ومرة أخرى أقول لك: إنى لا أفتعل التعبير ولا أتقصده.. فأنا أرى، وأسمع، وأحس بكل ما يجرى حولى..

إن سرادق الموت العربى منصوب فى كل مكان.. والقرآن يُتلى.. والمعزون يجلسون فى صمت.

فكيف يمكننى أن أكتم خبر الموت.. وكل الجرائد، والإذاعات، ومحطات التليفزيون نقلته على الأقمار الصناعية.

إن موت الأنظمة ـ ولا أقول موت الشعوب ـ حادثة لا يمكن التستر عليها.. كما لا يمكنك إخفاء جثة فى خزانة ملابسك؟!

● أعرف ـ مسبقا ـ أنك ستحدثنى عن روح القبلية السياسية العربية، وعن تخلف الواقع عن طموحاتك وأحلامك، وعن العجز السياسى والاجتماعى فى عالمنا العربى..

ولكن هل تكفى هذه العناصر لتكون مسوغات نعترف فيها ـ جميعا وطواعية عبر قصيدتك ـ بوفاتنا؟

○ وفاتكم تحزننى.. ولكننى لا أستطيع أن أترككم فى الثلاجة، دون أن أكتب فيكم قصيدة رثاء.. تليق بسيرتكم غير العطرة، وأنانيتكم، ونرجسيتكم، وديكتاتوريتكم التى لا تغرب عنها الشمس.

على كلٍّ أنا لا أجد نفسى مضطرا للاعتذار لأحد عن قصيدتى التراچيدية.. ولكن العناصر التى ذكرتها فى سؤالك تكفى فى نظرى لقتل ديناصور.

إن الموت هو الحادثة الوحيدة التى لا يشعر فيها الميت بالعيب!

● أستاذ نزار.. أمتك ـ هذه ـ التى طالما غنيت لها، وغنيت عنها، والتى رددت أشعارك، وحفظتها عن ظهر قلب.. أتراها تستحق أن تقبع فى مكانها فى انتظار إعلان الوفاة؟

○ صيغة سؤالك تذكرنى بما كان يقوله الرئيس أنور السادات عن معارضيه من السياسيين والصحفيين..

كان يقول عنهم: (دول بيشتموا مصر).. (دول بيخونوا مصر).. (دول بيتآمروا على مصر).. فى الخارج.

وحقيقة الأمر أن السادات كان لا يفرق بينه كحاكم، وبين مصر المحكومة، فهو أبو المصريين جميعا.. وغير مسموح للأولاد أن يخرجوا على طاعة أبيهم.

وفى تاريخى الشعرى، خلط ناقدون كثيرون ـ وأنت واحد منهم ـ بين العرب، ومن يحكمون العرب.

ولأن الشعب العربى مغلوب على أمره.. ولا يحل ولا يربط، ويذهب إلى صناديق الاقتراع لينتخب بنسبة ٩٩,٩٩٪ إلها واحدا مدى الحياة.. فإننى لا أسمح لنفسى أن أشتم شعبا خرجت من حاراته الشعبية، ومن مواويله البلدية، ومن أعراسه ودموعه وأحزانه.

● مازال الموقف النقدى من قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟) فى

إطار الاشتباك السياسى، من دون التوقف النقدى الفنى أمامها، وبالطبع لا أتوقع أن تكون منتظرا نقدا فنيا لقصيدة مقاتلة. ما هى فى رأيك حصيلة كل النقد الذى جوبهت به هذه القصيدة؟

○ حصيلة النقد لقصيدتى (متى يعلنون وفاة العرب؟) أنها سقطت بين أيدى القبائل فاغتصبوها كل واحد على طريقته، واحد أخذ خواتمها. . وواحد سرق أساورها. . وواحد استولى على محفظتها. . وآخرون جردوها من ثيابها، وباعوها بالمزاد العلنى لقاء الحصول على بعض الدولارات وقليل من الشهرة.

وهكذا تقع كل قصائدى المثيرة للجدل بين تجار البيع بالجملة والمفرق. . وبين أيدى المرتزقة. . وتجار الشنطة!

أما البحث عن بناء القصيدة، وصياغتها، وقيمها الجمالية. . فأشياء غير معروفة فى سوق البورصة للثقافة العربية!

ردح نقدى!

● **يظنك البعض قد أسقطت من قضيتك الفنية والشخصية على قضية الوطن وقضية الأمة، فحين كان الموضوع ينبغى أن يكون (متى يعلنون وفاة الشعر؟) باعتبارنا فى زمن داست فيه الرواية كل الأبيات، وجدناك تطرح (متى يعلنون وفاة العرب؟) فى إطار تصورت فيه أن الآخرين داسوا كل مقدرات الأمة أو قدرتها على النهوض.. فانظر ماذا ترى؟**

○ ما تقوله عن موت الشعر، وسقوطه تحت أقدام الرواية. . ليس صحيحا، فلا يزال الشعر هو الأكثر تأثيرا وتحريضا للإنسان العربى، لأنه جزء من موروثه الروحى والثقافى.

والشعر يشعل فتيل الانفعال فى جسد المواطن العربى خلال لحظات. أما الرواية فهى علاج بطىء، ولا يحدث تأثيره إلا بعد مرور أشهر أو سنوات.

إن تجربتى الشعرية فى كل مدينة عربية ألقيت فيها قصائدى، تؤكد أن الشعر هو الخبز اليومى الذى يحتاج إليه كل مواطن عربى ليبقى على قيد الحياة. أما الرواية فهى فاكهة يتناولها بعد وجبته الرئيسية التى هى الشعر.

● فى النقد العربى الحديث والمعاصر فصل فى باب الهجوم على نزار، ولهذا الفصل منظروه ومتاجروه والمرتزقون به ومن وراءه..
ما هى حصيلة قراءاتك فى هذا الباب؟

○ لا أشغل نفسى كثيرا فى قراءة هذا (الردح النقدى) الذى ينشر عنى، فى الصحف والمجلات الأسبوعية العربية، بل أفضل أن أشتغل بكتابة قصيدة جديدة.

صحافتنا بحاجة - دائما - إلى فريسة تملأ بها معدتها و يا طالما ملأت معدة الصحافة العربية، وأسكت جوعها.. بأخبارى التى لا تنتهى، حتى مللت من سماع أخبارى ورؤية تصاويرى.

وأنا متفق معك، فى أن أقلام تجار النقد ومرتزقته حولت تاريخى الشعرى إلى (سوبر ماركت) وجسدى إلى وليمة.

● تسود الساحة الثقافية والفكرية العربية اليوم روح تكفيرية لافتة.. وإذا كنت - وكنا معك - ندين التكفير العربى أو القومى لكاتب من حجمك، أو لا ترى أنك أيضا فى (متى يعلنون وفاة العرب؟) كنت تطرح فكرا تكفيريا ضد العروبة.. يكفرهم فى إيمانهم بالعصر أو ارتباطهم به، ويكفر أحلامهم فى أن يكونوا رقما صحيحا فى عالم اليوم؟

○ يؤسفنى أن أقول لك: إن رؤيتك لقصيدتى مشوشة، وتحليلك غير دقيق!!

فأولا: أنا لم أكفر العرب، وإنما هم الذين كفروا بأنفسهم.. وخانوا تاريخهم واستعذبوا الهوان والهزيمة والغيبوبة.

وثانيا: أنا لم أقطع علاقة العرب بالعصر.. إذ لا علاقة لهم بعصرهم الذين يعيشون فيه مطلقا، إنهم فئة جديدة من أهل الكهف.. لا تشعر بحركة التاريخ.. ولا بإيقاع الحياة.

وثالثا: أنا لم أمنع العرب من أن يحلموا.. بل على العكس أنا أصرخ فى وجوههم حتى يفكروا.. ويحلموا.. ويغامروا.. ويبحروا إلى شواطئ المستحيل.. قبل أن يتحولوا إلى كوم من الحجارة.

● أيضا عن (متى يعلنون وفاة العرب؟). هل ترى أن السخط الذى قوبلت به كان سخطا نقديا أو جماهيريا؟

○ لا هذا.. ولا ذاك.. فالقصيدة شقت طريقها إلى الجماهير العربية، واستقبلت بحفاوة فى كل مكان.

وهذا دليل على أن الموتى يعشقون الشعر، ويرقصون على إيقاعاته الجميلة!

● ولماذا آثرت أن تكتب بنفسك شهادة وفاة العرب، ولم تدع غيرك يكتبها؟

○ بما أننى الناطق الرسمى بلسان مئتى مليون عربى عاطفيا وسياسيا، فقد كلفونى أن أكتب هذه الشهادة!!

ضريبة التنوير!

● يتأمل البعض وجودك الدائم خارج الوطن.. ويرونه نفيا اختياريا، أو نفيا بإرادتك.. هل هذا النفى رفض للوطن؟

○ فى مثل سنى أعتقد أنه من حقى أن أختار مكان إقامتى وطريقة حياتى. إننى حين أفعل هذا لا أرفض الوطن، ولكننى أعطيه الوقت الكافى، حتى يشتاق لى.. وأشتاق إليه.

الالتصاق الدائم بالوطن أو بالمرأة، ليس ضروريا وليس صحيحا، فالمسافة بيننا وبين من نحبهم مهمة جدا، حتى تبقى المشاعر طازجة، والشوق مشتعلا.. والشعر ممكنا.

إن ألوف المبدعين فى العالم، من شعراء، وقصاصين، ورسامين، وموسيقيين.. اكتشفوا عبقرية المسافة بينهم وبين أوطانهم، فتحول المنفى عندهم إلى جنة تجرى من تحتها أنهار الإبداع.

الوطن قمر يزداد استدارة وجمالا وبريقا، كلما نظرنا إليه من بعيد.

● يسقط شعراء وأدباء ومفكرون مضرجين بدمائهم، تحت وطأة الجماعات الدينية المتطرفة. كما تختنق الكلمات فى صدور مبدعين، وأفكار فى رؤوس مثقفين، تحت وطأة إرهاب سلطات سياسية متطرفة أيضا.. أى إنتاج إبداعى يمكن أن ينشأ بين شقى هذه الرحى؟

○ ليس هناك جديد تحت شمس القهر والتطرف بكل أشكالها السياسية والدينية والثقافية. حتى الأنبياء والقديسون لم ينجوا من أذى التعصب والعذاب والصلب.. ابتداء بالسيد المسيح، ونبينا محمد بن عبد الله، ووصولا إلى سقراط.. والحلاج.

إنها ضريبة قديمة، يدفعها كل من يفكرون بالتغيير.. أو بالتنوير، أو بخض عقول حجرية، ومجتمعات ترفض أن تتغير.

يعنى أن التصادم أزلى بين النار والماء.. بين الوردة والحجر.. بين سنبلة القمح والمنجل.

وعلى الرغم من هذا السيف المسلط فوق رقابهم، سيظل الكتاب يكتبون.. والشعراء يغنون، والمفكرون يفكرون.. والعشاق يعشقون.. إذ ليس من خيار ثالث أمامهم.

● آلية العلاقة بين السلطة والكلمة.. كيف تصفها فى هذا الزمان؟

○ إنها علاقة لا وصف لها، لأنها أقرب إلى علاقة السيف بالجسد، وحبل المشنقة بالرقبة.. والبلدوزر بالحصى.

ومادام السلطان لا يتخلى عن سلطته. والكلمات لا تتخلى عن سلطتها. فلابد لصراع السلطات أن يستمر إلى الأبد.

● فى دوائر السياسة، وفى مقاهى المثقفين.. هل تبصر اليوم قوى حية وفعالة، قادرة على صياغة واقع ديمقراطى جديد فى عالمنا؟

○ يؤسفنى أن أقول: إن الرؤية مضطربة، والأفق رمادى. فدوائر السياسة تكرر خطابها النرجسى.. والبوليسى.. والأوتوقراطى.

ومقاهى المثقفين.. تعيد إنتاج ثرثرتها، وجدلها البيزنطى.

لم يبق سوى المدارس والجامعات، فهى التربة الواعدة التى يمكن أن تخرج منها وردة الديمقراطية.

● (حقوق الإنسان) و (المجتمع المدنى) و(الليبرالية) كلمات ثلاث تلوكها الأفواه فى كل مكان فى العالم العربى.

هل تعتقد أنها كلمات نافذة إلى الجمهور فكرا ووجدانا.. وهى تعبر عن احتياج داخلى حقيقى لدى كل الناس؟

○ أعجبنى فى سؤالك كلمة (تلوكها الأفواه)..

فنحن نلوك الكلمات الكبيرة.. كاللبان.. ولكننا لا نبلعها، ولا نبصقها.

إننا نمضغ اللغة، والبلاغة، والشعارات، والحِكَم، والكلمات المأثورة.. كما يفعل الجمل الصحراوى.

وتسألنى ـ بعد ذلك ـ هل كلمات مثل: الليبرالية، وحقوق الإنسان، والحرية.. هى احتياج حقيقى لكل الناس!

طبعا هى حاجة حقيقية، ولكن من كثرة ما مضغوا أمامنا الكلمات الجميلة والرنانة والموزونة، والمقفاة.. أصبحنا لا نفرق بين الحرية.. و(التشيكلتس)!!

● كيف يمكن أن تتغنى بديمقراطية الكلمة، على حين تمارس عبر قصيدتك شكلا من أشكال الديكتاتورية الفنية والإبداعية لا تعترف بغير سواه؟

○ هذا تحقيق بوليسى معى.. وليس حوارا.. فأنا لا أعرف كيف يمكن لقصيدة أن تمارس الديكتاتورية؟!

إننى ألقى شعرى على ألوف المستمعين فى كل العواصم العربية، فهل أرغمتهم بقوة السلاح على سماع شعرى، وهل حملتهم فى اللوريات حتى ينتخبونى الشاعر الأوحد؟

ثم من قال لك إننى لا أعترف بشاعر سواى؟ هل شكا لك أحد الشعراء همّه من طغيانى وديكتاتوريتى؟!

إننى أتساءل من عند أى منجم مغربى تشترى هذه الوصفات الصحفية التى انتهى مفعولها؟!!!..

عن الشعر نفسه!!

● هل ترى لقصيدة النثر شرعية أدبية فى عالمنا العربى؟

○ لست أنا الذى يمنح الشرعية لأية صرعة أدبية جديدة. بل قراء الشعر ومتذوقوه هم الذين يصدرون القرار.

● لماذا تبدو مهاجما بقسوة لشعر الحداثة؟ وهل تفعل ذلك مخافة أن يهز مكانة قصيدتك أو سلطتها الصوتية؟

○ لقد أسست جمهورية للشعر تمتد من الماء إلى الماء.. ولم يعد هناك شيء أخاف منه، ولمعلوماتك أقول: إن الشعب العربى بذوقه الأصيل، وحساسيته المدهشة هو الذى يختار شعراءه.. وليس هناك شعراء يخرجون بالصدفة من الصندوق كأوراق اليانصيب.

● وهل تستطيع أن تقول إن قصيدة التفعيلة التى تتبناها قادرة على الصمود. وعلى أن تكون معبرة عن زمن جديد؟

○ أنا لا أتبنى أى شكل من أشكال الشعر، وأعتبره سرمديا، إننى أكتب بحرية مطلقة، وأتحرك على الورقة كما تتحرك الريح.

أما صمود القصيدة، فلا علاقة له بزمن كتابتها، وشكل كتابتها.. بل له

علاقة بشعريتها فقصائد المتنبى رغم مرور أكثر من ألف عام عليها لاتزال طازجة، وناضرة، ومتداولة على ألسنة الناس.

أما قصائد الحداثة، فلا تجد من يتداولها فى أى سوق من أسواق البورصة فى العالم العربى.

● **إذا لم تكن عبر قصائدك قد ربيت أجيالا لخمسين عاما مضت قادرة على التصدى وعلى نسج الحلم الجميل، فإن ذلك لابد أن يدفعك إلى التساؤل عن الخطأ فى شعرك، والخطأ فى أفكارك.. هل فكرت بهذه الطريقة؟**

○ أنا عصفور يغنى لهذه الأمة.. ولست مجلس السوفييت الأعلى أو مجلس الكونجرس، أو مجلس قيادة الثورة.

العصافير لاتخطئ.. ولكن الذين يخطئون هم الذين ينتفون ريش العصافير، ويقتلعون حناجرها.

طائر السنونو لا يصنع وحده ربيعا.. كما يقولون.

والشعر لا يستطيع أن يقف وحده فى وجه البشاعة، والقمع، والتلوث، ومصادرة الأفكار، ومصادرة الأعمار.

والقصيدة وحدها، لا يمكنها أن تنقض على الجاهلية فتحولها خلال لحظات إلى فردوس ثقافى، وتدخلها إلى عصر النهضة.

● **أين أنت من خارطة المسرح الشعرى فى عالمنا العربى؟**

○ المسرح الشعرى تجربة لم أفكر يوما من الأيام فى دخولها، وهذا المسرح إلى انحسار حتى فى أوروبا، لأنه يعتمد لغة عالية فى تأليفها وصياغاتها وجمالياتها، لا تستطيع - فى أكثر الأحيان - ملامسة الوجدان الشعبى. فالشعب فى كل مكان يريد مسرحا يتكلم لغته، ويعكس همومه اليومية البسيطة.. يريد مسرحا يشبهه.

وأنا - شخصيا - مع المسرح المكتوب باللغة العامية، لأنه مسرح طبيعى، وعفوى، ولا افتعال فيه.

● المرأة كائن افتراضى يسيطر على كتاباتك الشعرية.. لماذا؟..

وأيضا هل يمكن أن تقنعنا بحداثة التجربة العاطفية لديك، والتى تجعلك تغرد بحب امرأة.. وعشق امرأة.. والتغزل فى امرأة؟

○ أود أن أصحح قولك إن المرأة كائن افتراضى.. لأن المرأة فى حياتنا، جزء من أنفاسنا، وأعصابنا، وتفكيرنا، ودورتنا الدموية.. أنا لا أفترض النساء، يا عزيزى الدكتور، ولكننى أعشقهن.. وأعجنهن بجلدى، ولحمى، ولغتى، وحروفى.

ثم لا أفهم معنى سؤالك عن حداثة التجربة العاطفية.. فهل تعتقد أن الحب هو موضة تتغير كل عام!

ليس هنالك - يا عزيزى - حب قديم، وحب حديث.. وإنما هناك حب واحد يشترك فيه قيس بن الملوح، وجميل بثينة، وفالنتينو، ونزار قبانى!!

● ما هى حكايتك مع مصر.. ما هى حكايتك مع القاهرة؟

قررت ثم عدلت أن تستقر بها فى الثمانينيات.

حضرت فى معرضها للكتاب واحتضنك الناس بحرارة بالغة، ثم اعتذرت فى العام الماضى رغم إلحاح المسئولين والمثقفين.

كيف تنظر للقاهرة؟ هل بوصفها رقما فى حرب العواصم الثقافية فى عالمنا العربى؟...

هل بوصفها مقرا ومستقرا لبعض العناصر التى احترفت الهجوم على كلماتك؟

هل بوصفها العاصمة التى لا تقدر على إغداق الذهب على الشعراء، كما أنها العاصمة التى لا يتسلطن أو يستوزر فيها شاعر؟

بصراحة أكثر.. هل احتجبت عن القاهرة، أم احتجبت عنك؟ وهل كان موقفك وليد فكرة، أو مبدأ، أو مصلحة؟

○ أنت فى سؤالك هذا، تشبه العزول، الذى يحاول ليلا ونهارا الإيقاع بين عاشقين.. فكل ما تقوله ـ يا عزيزى ـ أوهام فى أوهام.

فعلاقتى مع مصر سمن وعسل.. وحكايتى مع (بهية) و (عيون بهية) معروفة ومشهورة، ومبثوثة على جميع الأقنية والأقمار الصناعية.

مصر الأربعينيات أرضعتنى حليب الثقافة، ومصر الخمسينيات علمتنى الزهو القومى، ومصر الستينيات أطلقتنى كوكبا فى تاريخ القصيدة المغناه.. ومصر الثمانينيات لا تزال تسأل عنى، وتتابع أخبارى الشعرية كأننى واحد من أبنائها.

أما قضايا الإقامة والرحيل، فهى جزء من قدر الشاعر، فلا هو يعرف متى يبحر، ولا أين ترسو سفينته.

أما قراءة الشعر فى معرض الكتاب، فليست خدمة عسكرية أنفذها كل عام.. إننى لا أحب أن أحول قصائدى إلى عادات.. حتى تبقى علاقتى مع الجمهور دائما طازجة ومسكونة بالدهشة.. وهذا قرار اتخذته من زمان.

أما عن الذهب، فهو ـ كما تعلم ـ لا يشكل هما من همومى.. إن ثروتى الوحيدة هى قصائدى وجماهيريتى.. ولو كنت ممن يقفون على أبواب الخلفاء والسلاطين.. لكنت ـ الآن أغنى من أوناسيس، وأغاخان، وملكة بريطانيا.

إن مصر ـ عندى ـ سبيكة من الذهب.. لا أبادلها بكل ما فى خزائن الدنيا من سبائك.

ذهب مصر موجود فى ترابها العنبرى، فى نيلها العظيم، فى ترعها وكباريها،

فى أشجار قطنها، فى أصوات مؤذنيها، وعرق فلاحيها، والكحل الذى يمطر من عيون نسائها. . .

هذه هى إفادتى عن عشقى المصرى. . وعليها توقيعى.

- ١٩٩٥ -

❑ ❑ ❑